

Memory of representation of social life in the explanation of Al- zouzni for the sleepless seven

Mohammed Yamani Mebirik

Taheri University of Muhamed Bashar || Algeria

Abstract: This study dealt with a critical approach to explaining pendants, and chose to stand on its social side, with a descriptive approach, which revealed the links between modern criticism and ancient criticism. Reading was a procedural tool for research, and It started to develop hypotheses as temporary solutions that permeate its interlocutors and infiltrated its features with the function of projection and convergence. Where I reached the features of social study according to this vocabulary: writing, charters, medicine, banking, Transportation, adornment, cooking, ritual, construction, etc.

Keywords: Study, criticism, explanation, social life, curriculum, approach.

ذاكرة تمثيل الحياة الاجتماعية في شرح الزوزني للسبع الطوال

محمد يمانى مبيريك

جامعة طاهري محمد بشار || الجزائر

الملخص: عالجت هذه الدراسة مقارنة نقدية في شرح المعلقات، واختارت الوقوف على جانبها الاجتماعي، بمنهج وصفي، كشف عن الروابط بين النقد الحديث والنقد القديم. وكانت القراءة أداة إجرائية للبحث فشرعت في وضع فرضيات كحلول مؤقتة أتخلل فُرَجَاتِهَا وأتسلل مسماتها بوظيفة الإسقاط والمقاربة فألفيت الهدف قاصدا، والغاية مأمولة باتباع الأدوات والوسائل التحليلية. حيث توصلت إلى معالم الدراسة الاجتماعية وفقا لهذه المفردات: الكتابة، الموائيق، الطب، الصيرفة، النقل، الزينة، الطهو، الطرب، البناء... الخ.

الكلمات المفتاحية: الدراسة، النقد، الشرح، الحياة الاجتماعية، المنهج، المقاربة.

مقدمة:

إذا قيل إن الشعر ديوان العرب، فلا ضير أن نتلمس هذه العبارة بين ثنايا شروح الشعر، وفي شرح المذاهب يحيلنا الإمام أحمد بن الحسين الزوزني للقبض على عروة السحيل والمبرم من دلالات اجتماعية تفرعت أقسامها، ثقافية، سياسية، أخلاقية، وغيرها من المعاني الجليلة الماهرة ختمها بـ معجمها اللغوي الواسم لهذه العادات والتقاليد والأعراف، في المجتمع العربي إبان تلك الحقبة من الزمن.

وقسمت هذه الدراسة إلى محاور خمسة مطابقة لما جاء في شرح الزوزني من تبيان لقضاياها.

وأستهل نشاطي بمحور الأطعمة والأثاث والطهو ويلييه تصميمات المعمار والبنائيات وموادها الصانعة ويعقبها كتابة الموائيق والاتفاقيات، ثم الاستشفاء والطب والحركات المصرفية، في النقل والسفريات ومواد الزينة والحلي، وأشياء أخرى رسمت الحياة الاجتماعية للمجتمع العربي في فترة ما قبل الإسلام.

إن الدارس للنص الشعري في المعلقات السبع، وهو يستعين بالشرح يلقي صاحبه قد عالج تلك النصوص بطريقتين منهجيتين وفقا لما تتطلبه المعالجة المعنوية، إنها دلالة ألفاظ على معانٍ.

فالاستعمال الذي يقتضي من اللفظ - الإناء- أن يكون إناءً مستعملاً في احتوائه المعنى ذاته أي: في الدلالة على المعنى الذي وضع له في الأصل. (عبد الواسع أحمد الحميري، 2005)

اعتمد الدراسة الاجتماعية بوصفها مصطلحاً دلاليّاً في مجال الأدب ذاك ما تسرب في رسومه الكتابية ومعالجته العملية، وتفسيراته لذلك الأثر الأدبي.

وغني عن البيان أن الأدب يصور حياة الناس وليس في الأرض أدب إلا وهو يصور حياة أصحابه ومن هنا كان الأدب مصدراً من مصادر التاريخ الإنساني فكل أدب في أي أمة من الأمم إنما هو يصور نوعاً من أنواع حياتها ولوناً من ألوان شعورها وذوقها وتفكيرها وانعكاس صور الحياة في نفوسها* (طه حسين، 1980) ** (هنا إشارة إلى المناهج السياقية اجتماعي، تاريخي.

إن القارئ يستشف من الفقرة المعاني التالية من خلال السياقات الأدبية، لقد جمعت هذه العبارة جوانب الدراسة الدلالية في حقل الأدب، فإذا أخذت العبارة: "إن الأدب يصور حياة الناس" فإنك تقرّ فيها معاني تعلقت بالحياة الاجتماعية، وما تحمله من تداعيات للوجود الإنساني، أما جملة "إن الأدب مصدر من مصادر التاريخ" فليس فيها من أولوية لشيء آخر قبل أولوية العامل التاريخي وصياغته للعمل الأدبي، وأما عبارة انعكاس صور الحياة في نفوسها فلا أخال هذه الكلمة إلا تعبيراً عن الحياة النفسية للمبدع وقرائه في وسط الأدب المدرّس من خلال المنهج النفسي لشكل جلي لا مكان فيه للتأويلات النظرية، ولا يقبل سوى التفسير النفسي للأدب. لا يكون ذلك إلا من خلال عكس الفن لحقائق الطبيعة والمجتمع أي: لا يكون من دون البعد المعرفي، والاجتماعي في الفن (سعد الدين كليب، 1998)

خصصت النظرة الاجتماعية في هذه الكلمة عن باقي المعاني الأخرى، ولئن كان طه حسين جمع في مقولته صنوف الدلالات وشتى أنواعها كما بيّنا سابقاً فإن غيره غلّب الجانب الاجتماعي على الدراسات الأخرى.***

بيّن كيف وُلِدَ هذا العملُ وما علاقته بالأنظمة الأخرى، وما الأشياء التي يرمز إليها والأوّلَى نقد العمل الأدبي على أساس أنه جزء من النظام الاجتماعي (أحمد كمال زكي، 1981)، وهذا التوجه يَنبُؤ عن الوجهة الاجتماعية في الدلالة الاجتماعية للعمل الأدبي اجتماعياً ويعدّه تحليلاً معنوياً بالمفهوم الدلالي الحديث ويحيل الشارح إلى معالجة الأثر الأدبي بوقوفه على المناسبة التي قيل فيها النص وكانت دافعا إلى إبداعه، ومن البديهي في مثل هذه الطريقة أن لا يأتي الشارح بأدواته الإجرائية من تلقاء نفسه بل مسنده الوحيد أن ينتهج التحليل النابع من النص نفسه، من محيطه الخارجي، ومن الظروف التي أحاطت بنشأته وتكوينه دون شطط أو تقصير.

أريد الإشارة في هذا المبحث إلى البعد الاجتماعي في شرحه للمعلقات وما تفرع عنه من مستويات ساهمت في تشكيله بتلك الصبغة الاجتماعية تمثلت في مستويات ثلاثة أخلاقية، ثقافية، سياسية، جمعت شتات الظاهرة الاجتماعية في النصوص الشعرية للمعلقات في عمله، وتعرض شارح المعلقات السبع لشروح مستفيضة مسّت جوانب متعددة على مستويات متفاوتة.

عكس الشارح معارفه في تفسير وشرح النصوص الأدبية في معلقات امرئ القيس وطرفة ابن العبد وزهير بن أبي سُلي، ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شداد، والحارث بن حلزة حيث وظّف بعض العلوم من شأنها إمطة الغطاء عن عجمية الألفاظ، والكشف عن خباياها، لذا ارتأيت أن أعالج شروحه والوقوف على طريقته في تفسيرها وتحليلها من خلال هذه المعلقات وبالتالي التطرق إلى كل مستوى على حدة. وتجدر الإشارة في هذه المقدمة أن أبه على أن البحث لا يخرج عن خطة نرسماً وفقاً لطبيعته وأما المنهجية فذاك علم آخر بمصطلح غربي يوسم ب: METHODOLOGIE أي: علم المناهج. ومقدمتنا تحتاج إلى تصور وخطة حسب موضوعها فقط.

التحليل العرفي في الشروح.

تعددت ضروب الدلالة الاجتماعية ومجالاتها في عملية الدرس التي تصدى لها في شرحه للمعلقات السبع، ومن بين تلك الصور التي عالج فيها قضايا ذات صلة بالاجتماع الإنساني منها: مسائل الكتابة، والاستطباب، والصراف بمفهومه النقدي أي: نظام العملات، ووسائل البناء، وأنواع البيوت والسكنات وأدوات الطهي، والأطعمة والأواني المنزلية ثم أدوات الحلي والعمود، وكذا قضية الأسفار.

كثير من الأحيان بالواقع الاجتماعي المادي، وما يشتمل عليه من محسوسات معيشية ومع ذلك لم يفته التحليل والتفسير للواقع الاجتماعي الصوتي الذي تجلى في تفسيره للألفاظ، والمعاني كما يبدو من خلال شرحه لهذين البيتين من معلقة امرئ القيس: (أبو عبد الله الزوزني، 1969)

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ***** بسقط اللوى بين الدخول فحومل.

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مَمْنَنْ صَالِحٍ ***** وَلَا سَيِّمًا يَوْمَ بَدَارَةِ جُلْجُلٍ.

تنوعت صور الدلالة الاجتماعية في عملية شرح القصائد الطوال، وقد عالج فيها شتيت القضايا، ولم يكتفِ بالإشارة إلى الأمور المادية وحدها بل فتق كل ما من شأنه أن يتصل بالأعراف والعادات والتقاليد الموصولة بالأمثال والحكم والتجارب.

لذا ارتبط الشرح عنده في كثير من الأحيان بالواقع الاجتماعي المادي وما يشتمل عليه من محسوسات معيشية كما يبدو من خلال شرحه للبيتين السابقين من معلقة امرئ القيس.

لم يقف الزوزني في تحليله عند هذا الحد بل وضح الموقف بتوكيد الجانب العرفي والعاداتي بقوله: "خاطب الواحد بخطاب الاثنين، وإنما فعلت العرب ذلك لأن الرجل يكون أدنى أعوانه اثنين راعي الإبل وراعي الغنم، فأنى له من هذه التبريرات لولا درايتُهُ بالوسط الاجتماعي ومعرفته بالعادات المتبعة في تلك البيئة ما استطاع أن يستشف هذه المعلومات التوضيحية، التي ساعدته على إبراز تلك الدلالات

فسر فيها المعنى، وعارض فيها رأي من رأى أنه يخاطب اثنين حقيقة أو رأي من ظن أنه يخاطب واحداً، وأخرج الخطاب مخرج اثنين والتأمل في شروحه لهذه الكلمة يراها تعددت بين اللسانية الصرفية، وبين العاداتيه العرفية، الأولى يقرر صرف الخطاب ووجهته، والثانية مادية تمثلت في كون الرجل يحوز على خادمين له راعي إبله، وراعي غنمه للمساعدة، والقيام بشؤونه الحياتية في ذلك الاجتماع الإنساني، وفي خضم هذه الاستدلالات الاجتماعية البعد من خلال هذه اللفظة التي ابتدر الشاعر بها معلقته

يضيف شارحاً، وكذلك الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة فجرى خطاب الاثنين على الواحد لمروور ألسنتهم عليه، لعله في شرحه ذي البعد الاجتماعي يشير إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم استحباب طلب الرفقة في قوله صلى الله عليه وسلم: "الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب" (أبو زكرياء بن شرف الدين، 1983)

هذا ما يعزز قوله بأن الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة، فهو بصريح العبارة مستعملاً لفظة (عاداتهم) بوصفه مبرراً عرفياً ذات الدلالة الاجتماعية لاستعمال الشاعر صيغة المثنى في خطاب واحد، ويضيف في تتبعه للمعاني المتعددة للفظة "رُبَّ" في قول الشاعر

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مَمْنَنْ صَالِحٍ *** وَلَا سَيِّمًا يَوْمَ بَدَارَةِ جُلْجُلٍ.

وفي تفسير هذه اللفظة وقف لها على معنى اعتيادي في الخطاب العربي بقوله: وربّ موضوع في "كلام العرب" للتقليل ثم يؤكد مزعه بقوله (وكم موضوع للتكثير)...، إن الاتجاه الاجتماعي الذي سلكه في شرحه ذي الأبعاد الاجتماعية المادية، والعرفية لم يترك منه جانباً حتى الجانب الخطابى الصوتي جعله مسنداً للشرح والتأويل في

البيتين السابقين من معلقة امرئ القيس. يرى الشارح امرأ القيس حينما ابتداءً معلقته بلفظة (قفا) أو بالأحرى الكلمة لأن لها معنى بخلاف اللفظة التي تعد منطوقاً تشمل المفيد والمهمل (عبد الله بن عقيل، 1964)****

*الكتابة والأقلام والمواثيق:

وَجَلَّا السُّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا **** زُبُرٌ تُجَدُّ مُتَوَنِّهَا أَقْلَامُهَا

شرح البيت: الزُّبُرُ جمع زبور وهو الكتاب، مكان الديار كتب تجدد الأقلام كتابتها مثل ما جاء عند يوسف غيوة بقوله: أما الأمر الثاني الذي نجد فيه دليلاً مادياً على معرفة عرب الجاهلية للكتابة واستعمالهم لها في أغراضهم الهامة هو الشعر الجاهلي نفسه، وأشار إلى البيت وجلا السيلول... (يوسف غيوة، 1996) وجاءت الزبر بمعنى الحديد (مصطفى ابراهيم وآخرون، 1972) لقوله تعالى: ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ (المصحف الشريف، 2014) سورة الكهف. *وفي شرحه

لقول الحارث بن حلزة:

حَدَرَ الْجَوْرَ وَالتَّعَدِي وَهَلْ يَدُ **** قَضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءُ

يوضح أبو عبد الله نوع الوسيلة بهذه العبارة: يأخذون الخرقه ويطلونها بشيء ثم يصقلونها ثم يكتبون عليها والشارح في هذين البيتين يوظف ثقافة الاجتماعية واصفاً لنا أدوات الكتابة من كتب وأقلام ومهارق مثل ذلك في شرحه للبيتين السابقين اللذين عالجا شأن التوثيق للعهد والمواثيق، ولعل الموضوع الثاني الذي كانوا يكتبونه وكانوا حريصين على كتابته ما وسعهم الحرص هو هذه الوعود والمواثيق والأخلاق التي يرتبطون بها فيما بينهم أفراداً، وجماعات... (ناصر الدين الأسد، 1972)، إشارة إلى بيت الشعر في معلقة الحارث بن حلزة، أين يذكر المهارق.

*الاستطباب والصيرفة:

وأشار في تفسيره إلى وسيلتين اجتماعيتين هما وسيلة الاستطباب، وعملة الصرف، في قول الشاعر زهير بن

أبي سُلَيْم:

يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً **** وَلَمْ يُهْرَقُوا بَيْنَهُمْ مِلءٌ مِخْجَمٍ.

وفي قول عنتره أخرى:

وَلَقَدْ شَرِيتُ مِنْ الْمُدَامَةِ بَعْدَمَا **** رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ.

يفسر الشارح كلمة "المشوف" هكذا: المشوف أي: بالدينار، وهو الدينار المجلو المنقوش، وكذلك كلمة مِخْجَمٍ عدّها آلة الحجامة ففي كلتي الحالتين سيان عنده أداة الاستطباب المحجم أو العملة الصرفية (الدينار المنقوش) لم يخرج الشارح من الوسط السوسولوجي في شرحه لهذه الأبيات، وما أشفع به الرؤية لشرحه ذي البعد الاجتماعي ما تقدم به في تفسيره لهذه الأبيات من الملاحظات السبع التي تولى شرحها، وتفسيرها، بما جاء فيها من قضايا ثقافية منها الأسفار، ووسائل النقل، وأدوات اللعب والترفيه

وأنواع البيوت، ووسائل البناء وأدوات الزينة والحلي والعمود، واستغلال الوقت، وأدوات الطهو والأطعمة ووسائل الإنارة وفن النسيج وأدواته، وأنواع الصنائع مثل صنعة الحياكة والدباغة، والأواني المنزلية وعادات وأعراف أخرى، تخللت شروحه، وتفسيراته في هذا الاتجاه من خلال معالجته لهذه الأبيات.

*النقل والأسفار:

قال امرؤ القيس:

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْعَبِيْطُ بِنَاً مَعَا **** عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا امْرَأَ أَلْقَيْسٍ فَأَنْزِلِ.

الغبيط: ضرب من الرحال، ومن الأدوات التي تفنن أهل البادية في استعمالها مثل الغبيط أيضا ما يسمى بالقتب، وهو آلة حذاء توضع عليها الحوية مفرش متن البعير، لكي لا يدبر والحوية على شكل بيضوي محثي بليف أو وبر أو صوف ما يجعلها تحول بين ظهر البعير وأحماله الثقيلة وهناك أيضا الرحلة والحدج والهودج وغيرها من أدوات الأسفار والنقل.

وقيل ضرب من الهودج على حد تعبيره، وفي قول طرفة بن العبد:
 وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبِعْ لَهُ *** بَتَاتًا وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ.
 يقول الشارح: البتات كساء المسافر وأداته وفي شرحه لقول عنتره:
 يَتَّبِعْنَ قُلَّةَ رَأْسِهِ وَكَأَنَّهُ *** جِدْجٌ عَلَى نَعْشٍ لِهِنَّ مُخَيَّمِ
 ثم شبه خلقه بمركب من مراكب النساء جعله كالخيمة في مكان مرتفع.

* الترفيه واللعب:

ثم ينتقل إلى وسائل اللعب، والترفيه في قول امرئ القيس:
 دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرَهُ. ***** تَتَابَعُ كَفَيْهِ بِخَيْطِ مُوصَلٍ.
 شبه عدو الفرس وإدامته الجري كإسراع خذروف الغلام بحالة ترفهية استقاها من بيئته الاجتماعية في شرحه لقول لبيد بن ربيعة:
 فَذَالَتْ كَمَا ذَالَتْ وَلَيْدَةٌ، مَجْلِسٍ *** تُرِي رَهْبًا أَذْيَالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ.
 بقوله: فتبخترت هذه الناقة كما تتبختر جارية ترقص تجر ذيل ثوبها في رقصها.

* العمران ومواد البناء:

تعرض في شروحه إلى قضايا اجتماعية منها: أنواع البيوت، ووسائل البناء أخرجها من هذه الأبيات.
 قال امرؤ القيس:
 وَيَبْضِضَةَ خَدْرٍ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا ***** تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ
 وَتَيْمَاءٍ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِدْجٌ نَخْلَةٍ ***** وَلَا أَطْمَأَ إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلِ.
 مثله قول طرفة بن العبد:

كقنطرة الرُّومِي أَقْسَمَ رَهْبًا ***** لَتُكْتَنَفُنَّ حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمِدِ.
 لَهَا فَجَذَانِ أَكْمَلِ النَّحْضُ فِيهَا ***** كَأَنَّهَا بَابًا مُنِيفٍ مُمَرَّدِ.

اعتمد الحقل الدلالي (المكون من هذه الكلمات (الخباء، البيت إذا كان من قطن أو وبر أو صوف أو شعر، الأطم، المشيد، قنطر الرومي، تشاد قرميد باب منيف ممرد) كل هذه المفردات ذات حقل دلالي مشترك تدل على أصناف البيوت ووسائل البناء قد تطرق لها ابن الحسين في شرحه بإيجاز، هنا نقف وقفة ترو وتأمل لمراجعة الفكر في قول طرفة بن العبد:

كقنطرة الرُّومِي أَقْسَمَ رَهْبًا ***** لَا تُكْتَنَفُنَّ حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمِدِ

ونحن في القرن الواحد والعشرين ولا زلنا في حضن المعمار في العصر الجاهلي نراوح المكان بفارق الزمان، هذه القنطرة، وهذا رهبا، وهذه الإشادة، وهذا القرمد، فالقنطرة الجسر، والرب: رئيس المشروع ما يسمى بالفرنسية (LAROUSSE) (Maitre d'œuvre، 2004) والإشادة هي التعليق والارتفاع، والقرمد مادة الحجر. وهو طوب يُصهر بنار يُعدُّ للبناء ولم نخترع شيئا بعده.

والالاف للبصر هو ما يفعله الرئيس من حلف مُقسماً على عدم استعمال الجسر حتى يتم الإنجاز كاملاً

ثم يتعلق الذهن العربي حالة كونه يستأنس بذات النحوض السمينية بصورة معمارية خالصة، تشاكل فخذ ناقته الحنيذة بقدن أمدس لبابه دفتان، شاهق البناءات مشيد الارتفاع.
العربي في العصر الجاهلي غلث بين التمدين والبداوة وسَمِهَ إن شئت الآن بين الأصالة والمعاصرة وليس شيئاً أن ترمز الناقاة للأصالة وتتجلى المدنية في قصر منيع يُلامس عنان السماء ممرد له أبواب صافقة هكذا كانت حضارة العرب قبل مجيء الإسلام.
وتأتي مسائل أخرى تصب في قالب النظرة الاجتماعية الأبعاد في شرحه لكثير من الأبيات الشعرية في المعلقات السبع ومن هذه القضايا حقلان مهمان صور فيهما الشارح المستوى الثقافي، يتمثل في أدوات الحلي والعمود هذا ما نجده ميثوثا في شرحه لهذه الأبيات.

*أدوات الزينة والعمود

قال طرفة بن العبد:

سَقْتُهُ إِيَّاهُ الشَّمْسِ إِلا لِيَتَاتَهُ *** أَسْفَ وَلَمْ تَكْمُدْ عَلَيْهِ بِإِثْمِدِ.

وقال أيضاً:

وعينان كالمأويتين استكنتنا *** بكهفي حجاجي صخرة قلت مؤرد.

وقال عنبرة:

وكأن فارة تاجرٍ بقسيمه *** سبقت عوارضها إليك من القم.

لم يتردد في استعمال الوظيفة دون تصنيفها اللساني وكأنه يقارب ما ذهب إليه جاكبسون الذي أتى بهذا المصطلح فيما بعد بمرجعية سياقية في عملية التأويل، فهو في شرح بيت طرفة يوضح: ونساء العرب تذر الإثمد على الشفاه واللثات فيكون ذلك أشد لمعانا للأسنان.
فسر المأوية بالمرأة فإذا كان تفسير المأوية بهذا الشكل المعجمي، فإن شرحه للبيت الذي قبله كان سياقياً ذا مرجعية ثقافية، وإلا كيف جاء به لولا أنه طُبِّ بأدواء النساء خبيرٌ ومعرفته السابقة بهذه العادة التي ألفتها نسوة العرب في ذلك العصر، والمتأمل في شروحه لهذه الأبيات يجدها تجتمع في وعاء واحد وتصب في قالب مشترك الدلالات ذلك هو حقل التجميل والتزيين والحلي والعمود، وهو جانب ثقافي في مجتمع من المجتمعات العربية ومنها: (الذر، الإثمد، لمعان الأسنان، المرأة، المأوية، الفارة، الروائح الطيبة، وفتيت المسك...إلخ،) ومثله شرحه لهذه الأبيات:

*الطهو والأثاث والأطعمة:

قال امرؤ القيس:

عَلَى الدَّبْلِ جِيَّاشٍ كَأَنَّ اهْتِرَامَهُ **** إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيُهُ عَلِيٌّ مِرْجَلِ

قال أيضاً:

فَظَلَّ طُهَاءُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ **** صَفِيْفَ شَوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلِ

قال طرفة بن عبد:

فظلَّ الإمامُ يَمْتَلِنَ حَوَارِهَا ***** وَيَسْعَى عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ الْمُسْرَهْدِ.

والحوار ولد الناقاة أكبر من البو وأصغر من المخلول قبل الفصيل.

وقال زهير بن أبي سلمى:

أثاقٍ سَفْعَا فِي مَعْرَسِ مِرْجَلِ ***** وَنَوِيَا كَجِدْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَلْمِ.

وقال لبيد:

وَيُكَلِّونَ إِذَا الرِّيحُ تَنَآوَحَتْ **** خَلَجًا تَمُدُّ شَوَارِعًا أَيَتَامَهَا.

تقاربت في الشرح هذه الأبيات عنده رغم اختلاف أصحابها ولم يخرج في تفسيرها عن محيطه الثقافي ومن ذلك (الغليان، المرجل، القدر، الطهو، اللحم النضج، الصفيف، الشواء، الطبخ، الملة، السنام، الأثافي المنصب، كسور اللحم، المرق، الجفان، العظام الأسودان، التمر والماء) وفي هذا الكم الهائل من الكلمات التي ذكرها الشارح في شروحه لتلك الأبيات أجدها كونه حقلًا دلاليًا واحدًا، له علاقة مشتركة ومجال موحد ينحدر من سلالة متماثلة. تعكس ظلالها الثقافية في المجتمع العربي في العهد الجاهلي.

تمثلت في حاجات الطهو، والأواني المنزلية وأنواع الأطعمة، ويمائل هذه الشروح شرحه لهذه الأبيات:

لقول ابن أبي سُلَيْم:

فَتَعْرَكُكُمْ عَرَكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا **** وَتَلْقُحُ كَشَافًا ثُمَّ تُنْتَجُ فَتُنْتِم.

وقول عنتر:

تَمْسِي وَتَصْبِحُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ **** وَأَيْبُتُ فَوْقَ سِرَاةٍ أَدْهَمَ مُلْجِم.

وضح الشارح المراد من الثفال: ثفال الرحي: (خرقة أو جلدة تبسط تحت الرحي ليقع عليها الطحين، وفي البيت الثاني: الحشية من الثياب ما حشي من القطن أو الصوف أو غيرهما، إشارة إلى الأواني المنزلية، والأفرشة التي كانت تستعمل آنذاك فكلها مستقاة من واقعه الاجتماعي في مستواه الثقافي الخالص، ومما جاءت شروح الزوزني في بعده الاجتماعي وسائل الإنارة، واستغلال الوقت.

***العادات والتقاليد والأعراف:**

ثم بعض العادات والتقاليد التي رجع إليها بشكل سياقي ثقافي اجتماعي استعملها في تحليل بعض الأبيات، ومنها قول ابن أبي سُلَيْم:

وَدَاوِلُهَا بِالرَّقَمَتَيْنِ كَأَنَّهَا **** مَرَاجِيْعُ وَشَمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمٍ.

وقال طرفة بن العبد:

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالٌ بِرِزْقَةٍ مَهْمَدٍ **** تَلُوحُ كِبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ.

وقال أيضا: إِذَا رَجَعْتَ فِي صَوْتِهَا خَلْتَ صَوْتَهَا **** تَجَاوَبَ أَظَارٌ عَلَى رُبْعِ رَدِ.

قال أيضا:

وَأَيَّاسِنِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتُهُ **** كَأَنَّا وَضَعْنَاهُ إِلَى رَمْسٍ مُلْحَدِ.

فَإِنْ مَتُّ قَانِعِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ **** وَشُقِّي عَلَيَّ الْجَيْبِ يَا ابْنَةَ مَعْبَدِ.

قال امرؤ القيس: كَأَنَّ دَمَاءَ الْهَادِيَاتِ بَنَحَرِهِ **** عَصَارُهُ حَنَاءٌ بِشَيْبٍ مُرْجَلِ.

لجأ في التحليل الشعري إلى العادات، والتقاليد ليفك شفرات النص، ويكشف عن غامضه فرجع إلى شرح بعض ما علمه من محيطه المعيشي من عادات مثل (الوشم الظئر النواح، النوادب، عصارة الحناء، شعر أشيب، المرجل المسروح بالمشط، عادة اللحد وشق الجيب) فهذه من التقاليد التي صاحبت المجتمعات العربية إلى يوم الناس هذا تعد عادة غير حميدة، ومخالفة للعقل ومع ذلك وظفها في الكشف عن كنه المعرفة الشعرية ولم يتوان في الارتكاز عليها لتوصيل الفهم إلى القراء، والباحثين وحقل الفن الشعري العربي إبان تلك الحقبة من الزمن كما تطرق في شروحه لقضايا أخرى ذات المستوى الثقافي مثل استغلال الوقت، ووسائل الإنارة.

*المحافظة على الوقت ووسائل الإنارة:

وقال ايضاً:

وقد أعتدي والطير في وكناتها ***** بمنجرد قيد الأوابد هيكل.

وقال ليبيد بن ربيعة:

عريت وكان بها الجميع فأبكرؤا ***** منها وغودر نؤها وتمامها.

وجاء في شرح الزوزني لبيت امرئ القيس:

يضيئ سناه أو مصابيح رهب ***** أمال السليط بالذبال المفتل.

يقول السليط: الزيت، والذبال: جمع ذبالة، وهي الفتيلة.

كان شرحه مرتبطاً بواقع الناس الذين عايشوا الحدث فهمل الشارح من بيئتهم، وقلد عاداتهم فأفرغ معرفتها في تحليلاته، وتأويلاته للشعر في المعلقات مقصده في ذلك تبليغ معاصر القراء، وتسهيل الفهم لموروثنا الأدبي، وتوصيله بشكل يسير لا يستعصى فهمه ويمكن أن تمثل لهذه المقصدية الإبلاغية أو التبليغية بمقارنتنا لشرح بيت من المعلقات، وفقاً لما جاء به رومان جاكبسون من وظائف تبليغية في الصيرورة اللسانية

*الغناء والطرب:

إذا علمنا أنه جنح إلى تسييق هذه الشروح لسياقات ثقافية اجتماعية، ومثالنا ينصب على قول طرفة بن

العبد:

إذا رجعت في صوتها خلّت صوتها *** تجاوب أظار على رُبع رد.

أول البيت بهذا المعنى: ويجوز أن يكون الأظار النساء، والربع مستعار لولد الإنسان فشبهه صوتها في التحزين، والترقيق، بأصوات النوادب، والنوائح على صبي هالك.

عناصر الصيرورة اللسانية في شرحه لبيت طرفة بن العبد. عملية مقارنة لسانية لتصنيف الناقد الأمريكي جاكبسون للوظائف التبليغية التواصلية (عبد المالك مرتاض، 1992)

الوظائف العملية الإبلاغية في سياق اجتماعي، كان المرسل يمثل (الوظيفة الانفعالية) (خولة طالب الابراهيمي، 2000) (طرفة بن العبد، المرسل إليه يمثل الوظيفة الإفهامية (الشارح)، الرسالة تمثل الوظيفة الشعرية (البيت الشعري)، السياق يمثل الوظيفة المرجعية (النوائح)، الاتصال يمثل الوظيفة الانتباهية (ترجيع الأصوات) أو اللغة، الكتابة، القصيدة، السنن أو الشفرة تمثل الوظيفة الميتالسانية (تجاوب أظار على ربع رد) فلولا المرجعية السياقية ما استطاع المرسل إليه (الشارح) أن يفك الشفرة المتمثلة في تجاوب الأظار مع ترجيع الأصوات ومماثلتها لها.

الخاتمة:

توصلت من خلال هذه الدراسة إلى نتائج تجعلنا بالفعل نطلع على الحياة الاجتماعية للمجتمع العربي، إذ كان للشعر العربي مكانة مرموقة في حلهم وترحالهم في جزيرة العرب، ولم يكتف الشعراء بوصف البيئات التي كانوا يعيشون فيها وإنما توسعوا في ذكر كل ما أحاط بهم وزامنهم واصفين تلك الاجناس التي عاصرتهم وتعرضوا لبنائياتهم وتقاليدهم المدنية وأعرافهم السياسية والأخلاقية والثقافية.

ولم يترك الشعر الجاهلي بصمة إلا مهرها بمعجم لغوي معنوي لكل شؤون الحياة إبان تلك الفترة.

ومما ذكره الشعر الجاهلي خارج البيئة العربية، القصور، القرمذ، القنطرة، السفن والجواري، والأجناس البشرية مثل الروم وطرق تسيير الأشغال... إلخ
وأما عن الشأن العربي فقد جمعوا ومنعوا ولم يتركوا شاردة ولا واردة إلا وصفوها وتحدثوا عنها من جدها وهزلها في مجالاتها المتعددة سياسية وثقافية من بناءات ومفازة من حيوانات وإنسانية من أساطير وحقائق من جذب وربع وقد جاسوا خلال الدنا فدان لهم سهلها ووعرها وعاشوا آمالها وآمالها فتفتنوا في أشعارهم بأغراضها التي جاءت بكل صغير وكبير تروي لنا تلك الوقائع الاجتماعية، التي تنوعت أحداثها وأوصافها من تلك الأعراف والعادات والتقاليد في سياقها الثقافي العربي عبر ذلك الديوان الخالد الذي سجل حياتهم بحذافيرها دون تثبيط أو نقصان وأمدنا بلوحة فنية مشرقة لتاريخهم المجيد.

ومن أهم النتائج المكتشفة في البحث على سبيل المثال لا الحصر:

1- أن الشعر أخبرنا بأنه تحدث عن مظاهر البداوة، ولم يهمل مظاهر الحضرة مثلما جاء ماثوثا في ثنايا القصيد، وآية الدليل والاثبات ما نظمته الشعراء الفحول في معلقاتهم وإليك عينة من تجليات الحياة الحضرية في هذه الأبيات:
قال طرفة بن العبد:

كقنطرة الرومي أقسم رُبها**** لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

وقال: لها فخذان أكمل النحض فيهما**** كأنهما بابا منيف ممرد

وقال امرؤ القيس: وتيماء لم يترك بها جذع نخلة*** ولا أطما إلا مشيدا بجندل.

ولا بأس أن نعرج حول معنى الأطم مستأنسين بمعجم الصحاح وما شرح به هذه اللفظة، يرى الجوهري (أبو نصر بن حماد الجوهري، 2009) في كلمة الأطم مثل الأجم يخفف ويثقل والجمع أطام وهي حصون لأهل المدينة، ويثمن رصيدنا المعرفي في اكتشاف المظاهر الحضرية في الشعر الجاهلي ينوب عنه شعر المذاهبات الطوال ما فسّر به مؤلف أساس البلاغة في العصر السادس الهجري مولانا الزمخشري (محمود بن عمر الزمخشري، 2006) في فتحة نواة لفظة أخرى تثبت ما نحن بصده من اكتشاف جديد يجعل من شعر المعلقات ديوانا حقا للعرب كما تفضل بذلك عبد الله بن عباس في العقد الفريد وأرى كذلك صلاحه أن يكون سجلا مدنيا ومعماريا لكل الشعوب المجاورة للعرب في جزيرتهم وسأدلل على هذه المعلومة الجديدة التي تُستنبط من الشعر المعلقاتي ذاته.

يذهب محمود ابو القاسم إلى تبيان لفظة "مشيد" في الجذر شيد، شاد القصر، وأشاد وشيد، وقصر مشيد ومشيد وقيل المشيد المعمول بالشييد وهو الجص، والمشيد بالمعنيين انتهى قول جار الله أبي القاسم الزمخشري.

ونجد الفلحاء عنتر بن شداد يستأنس بكلمة القصر أيضا ولكن في ثوب جديد، في صورة شعرية سيطرت على مخياله، وسلبت فكره تلك الجمليّة حتى أضحي يرى فيها فدنا مرتفعاً شامخ العنان وانظر إليه وهو يعبر رؤيته بتصوير هذه الناقة يشاكه هيكلها الضخم بقصر مشيد:

فوقفت فيها ناقتي وكأنها***فدن لأقضي حاجة المتلوم.

لا يزيد الزوزني عن شرح الفدن كلمة سوى وصفه بالقصر، بخلافه صاحب لسان العرب، ابن منظور الافريقي المصري (ابن منظور، 2008)

يبدأ الشرح ب: فدن: الفدن القصر المشيد،... وأنشد:

كما تراطن في أفدائها الروم.

وأوغل في الشرح، وقطني ما ذكرت حول معنى القصر تفي بدليل الحضريّة الموثوقة في طيّات شعرنا المعلقاتي الجزيل. تراطن في أفدائها الروم من هنا نقبض على سبب العنصر الثاني في الجديد لبحثنا الا وهو:

2- الشعوب المتاخمة صوب ساكنة العرب البدو.

المراطنة تشي بعجمية الروم

ولفظة الروم كافية للإثبات بأن العرب كانوا متجاورين مع الروم قرّبت الديار أم بعُدت.

ولا أقف عند هذا الشطر من البيت الذي رواه صاحب لسان العرب يل أتجاوزه إلى بيت طرفة بن العبد

كونه يضيف الجديد في سجلات الشعر المسمطي بما أنشده في البيت السابق والحاضر على المنوال التالي:

كقنطرة الرومي أقسم رُهبًا*** لتكتنفن حتى تشاد بقمرمد.

ذاك ذكر تراطن الروم، وهذا جعل من الرومي رئيس ورشة في التعمير والبناء، وقبل أن انسحب إلى الجديد

الثالث أتدبر استعمال الشعراء للفظة الرومي تارة مفردة وأخرى جمعا، ففي اللهجة أو الكلام قرنها بالمرطانة وتضايها بالروم لأن الأمر يتعلق بوسيلة اجتماعية تواصلية تخص الجمع الرومي.

وأما البناء فليس كل الناس تعرف البناء وإنما بعضهم لبعضهم خدم، ثم أن الياء في لفظة الرومي لا تفيد

النسبة بل تفيد الإفراد أي: 'واحد' الروم مثلها عربي تفيد واحد العرب وهكذا، يأتيها الجديد في خاتمة البحث.

3- البناء والجسور (الكوبري)، التشييد، القرمد، هذه كلها لا علاقة لها بالبداءة التي تحدث عنها صاحب

الأطروحة فضيلة الدكتور أحمد من مؤتة، وإنما تدل على المدنية والحضريّة لا غير. وتحضرنني في هذه

الخاتمة مقولة الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله في قصيدة له قائلا:

لا تدممن بيوتا خفّ محمّلها*** وتمدحنّ بيوت الطين والحجر.

4- ومن الجديد في البحث وقوفي على ما أسمىته بالعادات العرفية المعنوية ولم أرد الإطناب في شرحها لكن

لابأس أن أمثال حدوثها بما هو كائن في الحياة العصرية للأمم المتقدمة، أليس دولة بريطانيا من الدول

المتقدمة في العصر الحديث، بل ولكنها تعتمد في قانونها الأساسي ما يسعى عند كثير من الأمم "الدستور"،

تعتمد في تقنينه على العرف والعادات والسوابق القضائية.

وهنا يكمن التجانس في شرح الزوزني لما ينبري لتوضيح مسألة الألف في قول امرئ اليس: "قفا" ويمطرها

بالتخريجات والتأويلات ولا يهمل ما جاء في العرف والعادات من أن العربي يكون له راعيان راعي غنمه وراعي إبله ثم

ما يلبث أن ينادي واحداً منها بندا الاثنين. ولعلم الباحثين أن الأهداف من التنقيح العلمي والمعرفي لا يقتصر على

الإتيان بالجديد بل هناك أسباب متعددة للبحث منها تصحيح الفئات، والإضافة، والتعديل، والتوسع، أو المغلق

فينتظر التفسير، أو طويل فيختصره، أو ما يخترعه الباحث وهذا قليل جدا في البحوث الأدبية العربية.

قائمة المصادر والمراجع.

- المصحف الشريف. (2014). سورة الكهف. الجزائر: دار الامام مالك.

أولاً- المراجع بالعربية:

- ابن منظور. جمال الدين (2008). لسان العرب. لبنان: دار صادر.
- أبو زكرياء، يعي بن شرف الدين. (1983). رياض الصالحين. لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- أبو عبد الله أحمد بن الحسين الزوزني. (1969). شرح المعلقات السبع. لبنان: دار اليقظة.
- أبو نصر بن حماد الجوهري. (2009). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. مصر: دار الحديث القاهرة.

- أحمد كمال زكي. (1981). النقد الأدبي أصوله واتجاهاته. لبنان: دار النهضة العربية.
- خولة طالب الإبراهيمي. (2000). مبادئ في اللسانيات. الجزائر: دار القصبه للنشر.
- سعد الدين كليب. (1998). النقد الأدبي الحديث مناهجه وقضاياها. سوريا: مديرية الكتب والمطابع الجامعية.
- طه حسين. (1980). خصام ونقد. لبنان: دار العلم للملايين.
- عبد الله بن عقيل. (1964). شرح بن عقيل. لبنان: المكتبة العصرية صيدا.
- عبد المالك مرتاض. (1992). تجليات الحداثة. الجزائر: جامعة وهران.
- عبد الواسع أحمد الحميري. (2005). شعرية الخطاب في التراث النقدي والبلاغي. دار النشر مجد.
- محمود بن عمر الزمخشري. (2006). أساس البلاغة. لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر.
- مصطفى إبراهيم وآخرون. (1972). المعجم الوسيط. تركيا: المكتبة الإسلامية للطباعة.
- ناصر الدين الأسد. (1972). مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية. مصر: دار المعارف.
- يوسف غيوة. (1996). وسيلة حفظ الشعر الجاهلي في مرحلة إنشاده. الجزائر: جامعة قسنطينة.

ثانياً- المراجع بالفرنسية:

- LAROUSSE. (2004). DICTIONNAIRE FRANCAIS. FRANCE: MAURY EUROLIVRES A MANCHECOURT.